

## فريق التفريغ بموقع الطريق إلى الله

يقدم

## مناهج التأليف في السيرة والتاريخ

دورة بصائر ٢

(باللهجة المصرية)

لفضيلة الشيخ: عادل شوشة

رابط المادة: <http://way2allah.com/khotab-item-127400.htm>

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله -صلى الله عليه، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً- ثم  
أما بعد:

فأهلاً ومرحباً بكم -أحبتني في الله- مع دورة بصائر على موقع "الطريق إلى الله" وما زال الحديث متصلًا -أحبتني في  
الله -حول التأصيل لدراسة السيرة النبوية ولقاؤنا -بإذن الله عز وجل- في هذه الحلقة يدورُ حول مصادر السيرة  
النبوية ومناهج التأليف فيها.

## لماذا ندرس مصادر ومناهج السيرة؟؟

فينبغي على دارس السيرة النبوية أن يكون عنده عناية ومعرفة بمصادر التي كتبت السيرة النبوية ومناهج المؤلفين  
الذين ألفوا

- ليفهم طبيعة التأليف.

- وكيف يستفيد من الكتب المؤلفة في السيرة النبوية.

فيستطيع الإنسان أن يعرف ما هي الكتب التي يستفيد منها في سيرة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من خلال  
معرفة المناهج يستطيع الإنسان أن يتعرف على ما يأخذ وما يترك، كيف يستفيد من هذا الكتاب وما يأخذه منه وما  
يترك، وكيف يستفيد من هذا الكتاب وما يأخذ وما يترك هكذا.

## الإمام بجميع الجوانب أمر هام

مثلاً بعض المؤلفين كتبوا بطريقة سردية بحثة فالإنسان يأخذ منها هذا السرد، ويعرف ما يأخذ وما يترك من هذا  
السرد ثم بعد ذلك يقرأ في كتب أخرى عنواً بمسألة التحليل والاستفادة من النصوص أو الطريقة الموضوعية  
للنصوص فإذا به يضع النصوص في إطار موضوعي يفهم العلماء، ويفتح مجال للفهم في أن يستطيع الإنسان أن  
يستنبط الدروس والعبر من سيرة النبي -صلى الله عليه وسلم-.

## أهمية دراسة سيرة النبي -صلى الله عليه وسلم-

فكما تحدثنا قبل ذلك أن دراسة سيرة الرسول -صلى الله عليه وسلم-: هو البيان للمنهج العملي التطبيقي للإسلام وهو ينبغي علينا أن نوليّه اهتماماً كبيراً لنستطيع أن نقتدي بهدي النبي -صلى الله عليه وسلم- في المواقف المختلفة ونتأسى به

١. وهذا له أثر كبير في تنمية فكر الإنسان.
  ٢. وفي توجيه فكر الإنسان.
  ٣. وكذلك في فهم سنن الله الكونية.
  ٤. وكذلك في فهم النواحي التربوية والاقتصادية والعسكرية والسياسية التي فعلها النبي -صلى الله عليه وسلم-.
  ٥. وكيف نقتدي به، نفهم الضوابط العامة لدين الله، المقاصد العامة لشريعة الله -عز وجل-.
- نستطيع أن نقف مع كل ذلك من خلال دراسة متأنية لسيرة النبي -صلى الله عليه وسلم- بطريقة منضبطة منهجية.

## السيرة ليست مجرد قصص وسرد للأحداث

لإن بعض الناس واخذ دراسة السيرة على أنها شوية قصص تتقرأ قبل النوم وشوية حواديت ونحكي القصة وشيء تسجيلي فقط، وسرد للأحداث دون الاستفادة من ذلك وبعض الناس يستنبط أحداثاً من نصوص لا تثبت ولا يعرف ما هي النصوص التي يصح أن يستنبط منها الفوائد والعبر والنصوص التي لا ينبغي لكونها ضعيفة، هذا أمر غاية في الأهمية

## مصادر كتابة السيرة

### ١- القرآن الكريم

إذاً أولاً نتحدث عن مصادر السيرة النبوية التي كتبت سيرة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- المصدر الأول -كما أشرنا قبل ذلك أحبتي في الله- هو القرآن الكريم الذي اشتمل على الكثير من أحداث الرسول -صلى الله عليه وسلم- أو أحداث السيرة: سيرة النبي -صلى الله عليه وسلم- في العهد المكي وفي العهد المدني والأمثلة على هذا أكثر من أن تُحصى منها على سبيل المثال:

- حديث القرآن عن بعض الغزوات وما جرى فيها: **كغزوة الخندق** وغيرها من الغزوات.

### ٢- كتب السنة والأحاديث النبوية الشريفة

كذلك -أيضاً- من المصادر لدراسة سيرة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كتب السنة والأحاديث النبوية الشريفة التي تحدثت عن أقواله -صلى الله عليه وسلم- وأفعاله، وتقاريراته، وصفاته الخلقية، والخلقية

**٣- أقوال الرسول**

لما نقول حديث الرسول-صلى الله عليه وسلم- تحدث عن أقوال الرسول يعني الكلام اللي اتكلم بيه النبي

**٤- أفعال الرسول**

الأعمال التي فعلها الرسول وتأسى بها كما وضحنا هذا في اللقاء السابق في مسألة أن الإنسان يعرف الأفعال التي فعلها الرسول-صلى الله عليه وسلم- للبيان ونفرق بينها وبين الأفعال التي فعلها على سبيل الخصوصية أو على سبيل العادة

**٥- السنة التقريبية**

**طب لما نقول تقريبات الرسول يعني إيه؟؟**

أشياء فعلت أمام النبي والنبي أقرها، يعني سكت عليها؛ فإذا فعل فعل أمام النبي وسكت بنسبته سنة تقريبية. **تقريبية: النبي أقر هذا الفعل**، لأنه لو غلط؛ لا يقره الرسول-صلى الله عليه وسلم- ومن هنا يتبين أن في حاجة اسمها سنة تقريبية

**٦- كذلك الأحاديث التي تباينت عن صفات الرسول في أخلاقه وكذلك في خلقته**

-صلى الله عليه وسلم- هذا مصدر من مصادر السيرة النبوية.

**٧- ما حوته كتب الحديث**

كتب الحديث التي عنت بأحاديث الرسول-صلى الله عليه وسلم- فيها أبواب الجهاد وفيها أبواب للسير وأبواب للمغازي التي تسرد أحاديث المصطفى - فيما يتعلق بالغزو وبالجهاد وبال دعوة إلى الله والأذى الذي لحق النبي صلى الله عليه وسلم- ومن معه وهكذا؛ فهذا أيضاً مصدر من مصادر معرفة السيرة كتب الأحاديث النبوية.

**٨- كتب الشمائل**

من المصادر كتب الشمائل؛ الشمائل أي الكتب التي تضمنت أخلاق الرسول-صلى الله عليه وسلم- وهدى النبي-صلى الله عليه وسلم- وصفاته، وعاداته، وفضائله.

**وأشهر كتب الشمائل:**

**كتاب الشمائل المحمدية للإمام الترمذي**-عليه رحمة الله تعالى- وثم تحقيق مائع لهذا الكتاب لمختصر الشمائل لهذا الكتاب -للعامة الشيخ الألباني عليه رحمة الله- يستفيد منه طالب العلم استفادة عظيمة.

**٩- كتب السير والتاريخ**

ثم كتب السير والتاريخ حيث صنف بعض المؤلفين والمؤرخين كتباً مستقلة جمعت أحداث السيرة.

**تذكرة بما سبق من بعض مصادر كتابة السيرة**

يبقى أنا عايز آخذ السيرة

- الأول عندنا القرآن الكريم.
- عندنا ما ورد في كتب الحديث الشريف.
- ما ورد في الحديث عن شمائل النبي -صلى الله عليه وسلم- وأخلاقه وصفاته كتصنيفات مستقلة .
- كذلك معرفة كتب التي عنيت بجمع أحداث سيرة الرسول، وغزوات النبي، وبعوث النبي، سرايا النبي وما جرى معه -صلى الله عليه وسلم- من أحداث خلال مراحل دعوته وحياته -صلى الله عليه وسلم-.

ومن أوائل عشان نعرف التصنيف اللي صنف في السيرة مستقل

**من أوائل من اهتم بكتابة السيرة النبوية من الرواة:**

- عروة بن الزبير.
- وأبان بن عثمان.
- وراوي اسمه وهب بن منبه.
- والإمام الزهري -عليه رحمة الله-.
- وعاصم بن عمر بن قتادة.
- وموسى بن عقبة.
- ومحمد بن إسحاق.

**محمد بن إسحاق**

محمد بن إسحاق من عنده؛ من أوسع من كتب في سيرة النبي -صلى الله عليه وسلم- حيث كتب في السيرة التي رواها الرسول بشيء من التوسع، يعني كان قبله مثلاً عروة أو ما شابه يكتب شيء عن الغزوات، وكان المعظم يؤلف في الغزوات في سرايا النبي -صلى الله عليه وسلم-، غزوات الرسول -صلى الله عليه وسلم- لما جاء عصر محمد ابن إسحاق فإذا به ابتداء يكتب محمد بن إسحاق كتاب في السيرة النبوية كتاب واسع.

**ابن هشام**

جه إمام اسمه الإمام بن هشام إذا به هذب سيرة ابن إسحاق؛ لأن سيرة ابن إسحاق معمولة بطريقة فيها نوع من التوسع الكبير فأتى وهذبها وأصبحت تُعرف بسيرة ابن هشام.

وكذلك كتب من المصنفين اللي صنفوا السيرة واحد اسمه

### الواقدي

الواقدي كتب كتابًا في السيرة معروف بمغازي الواقدي ثم جاء المؤرخون المسلمون واحنا هنتحدث عن الواقدي ودرجته في علم الحديث. احنا دلوقتي تعريف عام بالكتب في السيرة.

### المؤرخون المسلمون وكتابة الموسوعات

جاء المؤرخون المسلمون بعد ذلك الذين دونوا الموسوعات التاريخية الإسلامية المشهورة يبقى دول صنفوا **تدوينات** في سيرة النبي -صلى الله عليه وسلم-. جه بعد ذلك من بسط بسطًا كبيرًا كالإمام الطبري -عليه رحمة الله والإمام ابن الأثير، والإمام الذهبي اعتنوا بتسجيل السيرة مفسرة، مفسرة باعتبارها بداية التاريخ الإسلامي. وأول من وصلنا كتابه في هذا المجال هو التفصيل الكبير كتاريخ للمسلمين، وتفصيل كبير كتاب الإمام الطبري اسمه "**تاريخ الرسل والملوك**" اسم الكتاب تاريخ الرسل والملوك.

### الإمام الذهبي

وأدق من كتب بهذه الطريقة؛ الطريقة تفصيلية؛ على اعتبارها تاريخ الإسلام الإمام الذهبي وهو عالم من علماء الحديث ومؤرخ وعالم كبير صنّف كتابًا اسمه "**تاريخ الإسلام**" الكتاب ده ٥٢ مجلد أخرجه في اثنين وخمسين مجلدًا -عليه رحمة الله- فهذا من الذين عنوا بالتفصيل في كتابة تاريخ الإسلام والسيرة بشيء من التفصيل.

### العلامة ابن كثير والنقلة النوعية في كتابة السيرة

لكن العلامة ابن كثير وهو عالم مفسر وعالم حديث، وهو تلميذ لشيخ الإسلام ابن تيمية -عليه رحمة الله- حقق نقلة نوعية في كتب السيرة أو في التأليف في السيرة النبوية بكتابه أو موسوعته التاريخية المسماة "**البداية والنهاية**" حيث حرص على أن يكون كتابه موسوعة غير مسبوقة في السيرة، ليس فقط من حيث التوسع في جمع معظم الروايات الواردة بشأن السيرة من شتى كتب الحديث والسيرة، يعني أخذ كل ما يتعلق بالسيرة من كتب الحديث وكتب السيرة وما كتبه المتقدمون إلى غير ذلك ولكن أيضًا من حيث **التوسع في تحقيق الروايات ونقدها وتبيين صحتها من ضعفها** وإن كان لم يستوعب؛ لكنه بدأ ينقد هذه الروايات، وإن كان لم يفعل ذلك في كل الروايات؛ لأسباب تتعلق بمنهج عصره ليس هذا مقام مجال شرحها.

يعني الإمام ابن كثير بدأ في **فكرة نقد الروايات** وإنه مش مجرد سرد لأ؛ الرواية دي يجب نشوف هل هي ثابتة ولا مش ثابتة وتقبل ولا متقبلش بمعايير أهل السير، ودراسة الإخباريين، وفي أمور يُتساهل في سردها وعرضها حتى لو

فيها بعض ضعف، وأمور لا يصح التساهل فيها؛ فبدأ يفعل ذلك حط منهج أو لبنة لهذا وإن كان لم يستوعب في كتابه "البداية والنهاية" لكن أدى فكرة كيف تدرُس السيرة، كيف تقرأ، كيف نستطيع أن نتقد متون السيرة النبوية.

**جميع هذه الكتب ترسم لنا حياة الرسول -صلى الله عليه وسلم-**

ولا شك أن أي كتاب من هذه الكتب التي ألفت في بيان سيرة الرسول -صلى الله عليه وسلم- ما كان ليُغني عن بقية الكتب؛ فالكل له منهجه الذي يُستفاد منه؛ فجميع هذه المراجع والمصادر لدراسة السيرة جاءت لترسم لنا صورة حية واقعية لما كان يتمتع به النبي -صلى الله عليه وسلم- من صفات جليلة وخصال حميدة؛ لتكون لنا نبراساً ونوراً نفتدي به .

**لماذا ندرس السيرة؟**

لكن من المهم جداً أن ندرس السيرة:

١. لاستباط الأحكام.
٢. واستلهام الدروس والعبر، ومحاولة تطبيقها وربطها بالواقع.
٣. وليس الغرض هو مجرد الوقوف على الوقائع التاريخية أو أن تُسرد سرد قصصي فقط.

لذلك ينبغي علينا أن نعرف

**كيف نستفيد من كتب السيرة التي تحدثنا عنها -أحبتني في الله-**

وهذا نستطيع أن نقف عليه من خلال الحديث عن مناهج تأليف السيرة النبوية لهذه المصادر التي أشرنا إلى بعضها وإلى أهميتها وإلى تناولها لجوانب مختلفة من سيرة النبي -صلى الله عليه وسلم- هذه الكتب وهذه المصادر أصحابها لهم مناهج؛ فينبغي أن نتعرف على منهج المؤلف لنعرف كيف نستفيد هذا التأليف وكيف وما الذي نأخذ، وما الذي ندع، وما إلى غير ذلك.

**الإسناد من الدين**

فأولاً: عندنا من المناهج في التأليف في السيرة منهج المحدثين

**من هم المحدثون؟**

ولما نقول المحدثين يبقى إذن هم: من التزم بقواعد علم التحديث في كتابة السيرة النبوية

يعني إيه قواعد التحديث؟؟ المحدثين يعتمدوا عندهم قاعدة في هذا اسمها الإسناد من الدين ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء. اللي عاوز أي حاجة يقولها يقولها.

**سبب اللجوء للإسناد**

كان الصحابة ببساطة شديدة كلهم عدول وكان الأمور مبناهما على الصدق والعدل؛ لما وقعت الفتنة بعد ذلك بين معاوية -رضي الله عنه- وبين علي -رضي الله عنه- وحدثت الفتن وظهر أصحاب المناهج المنحرفة من الشيعة الروافض كقسم من أقسام الشيعة، والخوارج بدأوا بعد ذلك يكذبوا في سرد الأحداث أو في الروايات، علشان خاطر يأتي بما يُعصّد منهجه فإذا به يقع في أخطاء فمن هنا لما وقعت الفتنة قالوا: سُمّو لنا رجالكم، قلنا بقي انت جايب الكلام ده منين؛ ما هو واحد مبطل عاوز ينصر عقيدته، مش لاقى من النصوص الشرعية الثابتة ما ينصر الباطل اللي هو عليه أو الفهم المعوج اللي هو فيه يعمل إيه؟؟ يخترع حديث يقول خلاص قال النبي كذا. قالك بقي لأ، انت سمعته منين؟؟

### الله عز وجل تكفل بحفظ هذا الدين

وهذا العلم -أحبتني في الله- من العلوم التي حفظت على الأمة دينهم -بفضل الله سبحانه وتعالى- لأن الله -سبحانه وتعالى- تكفل بحفظ هذا الدين فوق هذه الأمة لعلم الحديث، هذا العلم الذي فيه اعتنى بكل ما صدر عن النبي -صلى الله عليه وسلم-. ومن تكلم في الأحاديث. كل راوي تكلم في أحاديث النبي -صلى الله عليه وسلم- أو روى حديث عند المسلمين سيرته وحياته وأخلاقه، ومين مشايخه، ومين تلامذته، وكان درجته في الصدق، إيه بل أبعد من كده؛ لما بيتكلم بيغلط ولا مبيغلطش، طب لما بيغلط أخطائه كثير ولا أخطائه قليلة؟ يعني فيه واحد يأخذ حديث ينقله يزود كلمة وواحد تاني مجموعة بيسمعوا حديث واحد يشد يسمع حاجة غلط أو يضيف حاجة من عنده وهمّا فيغلط، إلى غير ذلك. فجاء علماء الحديث حددوا كل راوي عشان نعرف نستفيد منه ازاى؛ وناخذ رواية ولا ما نخدش فوضعوا لك قواعد اسمها قواعد علوم الحديث وأنتم -طبعاً- تدرسون في هذه الدورة شيئاً من قواعد الحديث ومصطلح الحديث مع الدكتور محمد -بارك الله فيه-.

فالشاهد من هنا قواعد الحديث حفظت على الأمة دينها -بفضل الله سبحانه وتعالى- فمن هنا منهج المحدثين هو منهج أولاً لما تروى حاجة أرويهها بإسناد؛ الإسناد من الدين.

### قاعدة: من أسند فقد أحالك

وعندهم قاعدة تانية اسمها من أسند فقد أحالك، علشان نعرف برضه نستفيد من الكتب ازاى؛ من أسند فقد أحالك يعني إيه؟؟ يعني مادام أنا جبتلك الإسناد أنا بأحيلك على الإسناد، بأقولك خذ الكلام دوت لما يكون الإسناد ده صحيح.

الإسناد اللي هو إيه اللي هو سلسلة الرجال الموصلة للمتنب يقولك اللي هو حدثني مالك عن نافع عن ابن عمر مالك نافع بن عمر عن رسول الله.

إذاً دول اسمهم الإسناد الرواة اللي رووا الأحاديث بعضهم عن بعض النبي ادى للصحابة، الصحابة اذوا للتابعين التابعين اذوا لأتباع التابعين إلى أن ذونت في أمهات الكتب -بفضل الله- في صحيح البخاري ومسلم، أبو داود الترمذي، النسائي، ابن ماجه، وغيرهم من أئمة الحديث.

الشاهد إن ده اسمه الإسناد إن أنا الطريقة اللي الحديث ده أو الموقف ده اتقل من النبي للصحابة للتابعين لأتباع التابعين لغاية الكتاب اللي دون فيه هذا النص -بفضل الله سبحانه وتعالى- هذا الإسناد بقى يقولك من أسند فقد أحالك يعني إيه؟؟ كان زمان الناس عندها علم كبير بمسألة الإسناد فكان بيكتفي مش زي دلوقتي.

دلوقتي مثلاً يقولك إيه في حديث كذا كذا والحديث صحيح أو موضوع أو ضعيف أو ضعيف جداً أو شاذ بديك حكمه المشتغلين بالحديث يدؤوا حكمه للناس، لكن زمان كان يكتفي بإنه يقولك الإسناد وهو من خلال الإسناد يفهم الكلام اللي وراه ده صح، يعني يقبله كله ولا يقبلوش ولا يقبل بعضه ولا يقبلش.

### لماذا رويت الأحاديث الضعيفة وغيرها؟؟

طب واحد يجى يسألني ويقولى طب لو هو الإسناد فيه راوي كذاب -مثلاً- أو راوي ضعيف هو ليه بيرويه؟؟ ما كان ميرويهوش من الأصل لا ده هنا مهم جداً.

عشان حاجتين:

١. لو الراوي كذاب بيتدي يروي الأحاديث اللي هو رواها علشان يحذر منها، يبقى انت تبقى فاهم إن النصوص دي علشان بعد كده الناس بتيجي تختصر فيقولك النصوص دي منشأها من الراوي ده هو يعني مثلاً في كتب السيرة بالذات اللي كتبوا في السيرة، في راوي اسمه ابي مخنف، ابي مخنف ده راجل شيعي رافضي كذاب بيحاول يدخل مبادئ ما يُعضد منهج الرافضي في أثناء الروايات ويكذب ويدخلها كده.

طيب هنا لما يجي مثلاً إمام زي الإمام الطبري يروي أحاديث أبي مخنف هذا هو بيرويه ليه؟؟ علشان تبتدي تجمعها وتسردها وتعرف إن دي بتاعت أبي مخنف علشان أما تيجي الأسانيد تتحذف بعد كده فيقولكش ده كان في السيرة يقولك آه ده كان مروى في السيرة بس خلّي بالك إن الراوي أبي مخنف، يبقى ده تسجيل وتمحيص لرواياته علشان تتعرف رواياته فنحذر منه آدي أول شيء.

### ٢. الشيء الثاني

لو الراوي ضعيف بس الضعيف ده ممكن واحد تاني يروي نفس المروي ويكون ضعيف فيعضده، يرتقي من الضعف للحسن فهو بيروي الإسناد الضعيف جازي يكون فيه عالم تاني عنده إسناد تاني فيبقى حفظ الإسناد على الأمة؛ لقينا إسناد يرقيه يبقى الحمد لله، ما لقناش إسناد يرقيه يبقى هنسيبه ضعيف زي ما هو يبقى هو رويه؛ تأدية لأمانة العلم، حفظاً للعلم، بيان للعلم ده أصل من الأصول.



لإن بعض الناس يبسأل هي ليه الكتب ديه فيها الأحاديث ديه أو الأسانيد ديه؟

لا ديه مهم إنها تكون موجودة:

- علشان أعرف الصحيح من الغلط.

- تدوين أحاديث الكذابين؛ لكي نحذر منها.

- تدوين العلم نفسه بأسانيده علشان أعرف إيه اللي آخده وإيه اللي أتركه، بل وممكن حادثة تكون مروية بإسناد ضعيف نلاقي لها إسناد ضعيف في كتاب آخر يرقبها؛ فواجب على العالم إن هو يفعل ده علشان هو يبرأ عهده عمل حاجه اسمها ايه؟

اسمها من أسند فقد أحالك، يعني كان حريص إن لما يجي يحكي قصة أو موقف أو يرد نصًا أو ما شابه يرويه بالإسناد، ديه اسمها طريقة المحدثين.

### يبقى طريقة المحدثين

هي عبارة عن إن هو الآن هيلتزم في أحداث السيرة إن هو يذكر الأسانيد سواء كانت الأسانيد صحيحة أو كانت الأسانيد ضعيفة أو مرسله أو موضوعة أو ما شابه، هو بيرويها ويحيلك إلى الإسناد فانت تعرف من خلال الإسناد إيه اللي تاخده وإيه اللي ماتخدوش فهذه هي طريقة المحدثين.

### من استخدم طريقة المحدثين؟

ومن المحدثين الذين فعلوا ذلك

- الإمام البخاري - عليه رحمة الله - ضمن صحيحه عمل قسم اسمه قسم المغازي فالمغازي والفضائل وما إلى غير هذا، هذا نوع من السيرة.

- وكذلك الإمام مسلم - عليه رحمة الله تعالى - فعل ذلك في صحيحه؛ فالبخاري ومسلم رووا بس اختلفوا عن غيرهم إنهما التزما الصحة.

### أنواع المحدثين

١- آه يبقى فيه محدثين لما رووا التزم الإسناد وبس.

٢- وفيه محدثين لما رووا إنه يحيلك على الإسناد وانت من خلال الإسناد تعرف ايه اللي تاخده وإيه اللي ماتخدوش.

٣- فيه بعض محدثين لما **رووا** قالك لا أنا هلتزم الصحة في الروايات؛ فابتدى الأحاديث اللي أسانديها ضعيفة سببها واللي أسانديها ثابتة يذكرها زي البخاري ومسلم -عليهما رحمة الله تعالى- يبقى إذن الإسناد له شأن عظيم هذا باختصار شديد جداً هو منهج المحدثين في عرض السيرة النبوية.

-بفضل الله سبحانه وتعالى - اعتنى أصحاب مدرسة الحديث بالسيرة بالتأليف المستقل أو بتخصيص بعض الأبواب في المسانيد والسنن مثل:

- الشمائل.

- والدلائل.

- والمغازي. كما تحدثنا عنها قبل ذلك

ولقد لقيت السيرة النبوية في كتب الحديث عناية كبيرة من النقد والتحقيق لأنها نُقلت بالأسانيد ومادام فيه أسانيد حنقدن نعرف إن هي صحيحة ولا ثابتة ولا لأ، نستطيع ناخذها ولا نستطيع ان احنا مانخذهاش ولكن ينبغي ملاحظة منهج المحدثين عند التعامل مع الرواية التاريخية الرواية التاريخية غير الرواية المروية في الحلال والحرام فالمحدثين بهذا يتساهلون في رواية الأخبار التاريخية كما حدث ذلك عند خليفة بن خياط وعند الطبري وعند محمد ابن اسحاق؛ فأحياناً ينقل ويحيل للإسناد؛ وبهذه الحالة يحيل للإسناد وانت من خلال الإسناد تعرف تعرف ان هنا في نصوص.

طب ليه بردوا ذكر الأحاديث والأسانيد الضعيفة بردوا زي ابن اسحاق كده حتى المقاطيع والمراسيل رواها؟ لأن انت لو جيت اعتمدت على الأسانيد الصحيحة بس؛ مش حتعرف تجيب الأحداث التاريخية متصلة؛ لكن من خلال كله جاب الأحداث متصلة؛ وانت تفهم تستنبط الدروس والفوائد والعبر من خلال الأحاديث الثابتة الصحيحة الأسانيد الصحيح؛ طيب ما يتعلق بمجرد إخبار وحكاية ووصف الأماكن ووصف الأشخاص؛ اهو ده يبقى من باب السرد التاريخي فقط لا حرج فيه؛ هكذا تكون مراعاة عند النظر في هذا الباب يبقى المحدثين تساهلوا في رواية الأخبار من باب تكملة الوقائع وفهمها فهمًا عامًا، لكن الاستنباط بيكون من الأحاديث الثابتة الصحيحة. يبقى ديه اسمها منهجية طريقة المحدثين الاعتماد على الأسناد ونقد الأسانيد والمتون وكذلك من خلال الإسناد يتبين ما يؤخذ وما يترك وإن وجد تساهل في الأخبار التاريخية عند بعضهم. يبقى ده المنهج الأول في مناهج طريقة التأليف.

**المنهج الثاني في مناهج التأليف: منهج المؤرخين**

عندنا المنهج الثاني في مناهج التأليف منهج المؤرخين. المؤرخين سلك المؤلفون في التاريخ منهجين متقاربين في ترتيب كتبهم اللي هو على سبيل التأريخ بس مش بطريقة المحدثين اللي هو بيسموه الإخباري، الإخباري ده يعني ايه؟

### منهج الإخباري

لو عايزين نبسط مسألة الإخباري حنفرض مثلاً شبيهه لمسألة الصحفي نازل في مكان حصل حادثة أو المكان فيه شئ مشهور ينزل يسمع من الناس ايه اللي حصل؟ يقوله كذا كذا؛ فلان قال كذا كذا؛ وقيل كذا كذا؛ وفلان قال كذا وكذا؛ وقيل كذا كذا؛ بغض النظر مين اللي قال هو بيحكى اللي اتقال عن الحادثة المشهورة ديه. فمن خلال اللي اتقال في الحادثة المشهورة ديه بيجمع كل اللي اتقال فيها. من خلال جمع كل اللي اتقال فيها بيستطيع إن هو يتبين الأقرب من اللي اتقال بغض النظر عن قائله.

يعني مثلاً معظم الناس قالوا حاجه واحد تاني قال حاجه مختلفة خالص ده بيعتبره إن ده هو اللي مخالف ماياخد هوش، مع إنه محدش الأشخاص اللي قالوا الحاجه ديه، ده اسمه طريقة الإخباري.

لذلك في الحاجات الإخبارية المحضه اللي مش مستنبط منها أشياء في العقائد أو في التربية أو المنهج أو كده ممكن إن احنا ناخذ ما أجمع عليه أهل التواريخ، أما ما وصفوه أهل التاريخ بالشذوذ أو ما شابه ما يخدوش ثقة أولاً في المؤرخ نفسه إنه ثقة عدل أمين وإن هو جمع ذلك وإن هو وافقه فلان ووافقه فلان ووافقه فلان في حكاية الأشياء، لكن هاجي استنبط حكم شرعي لازم يكون إسناد صحيح ثابت، لكن علشان نفهم ازاى نستفيد من مناهج المؤلفين وناخذ الاستفادة القصوى. لأن بعض الناس بيحاكم كل النصوص سواء كانت تاريخية أو وصفية على طريقة المحدثين فيهدر كمًا كبيرًا من السير، ويهمل إن المحدثين نفسهم تساهلوا في هذه الجزئية، وبعض الناس بيهمل الجزئية ديه كلها وكل اللي اتقال في كتب السير يحكيه مادام حكاية المؤلفين، فأيضًا يحكي أشياء غير ثابتة ويتسبب منها فوائد ونصوص فهذا لا ينبغي، فالزم نفهم المنهجية وازاي نستفيد من كل منهج بهذا الأسلوب.

### طريقة التنظيم الموضوعي

إذن منهجية المؤرخين الآن سلخوا المؤرخين اللي ما عتمدوش على الأسانيد إنما حكاية كل ما قيل أو معظم ما قيل طريقة إخبارية متقاربة طائفة اتخذت حاجة اسمها التنظيم الموضوعي مع مراعاة الترتيب الزمني في سوق الموضوعات سواء كان ذلك في تواريخ الأمم السابقة أو التاريخ الإسلامي بعد البعثة النبوية يبقى هكذا ادي طائفة حرص على التنظيم الموضوعي. يقولك مثلاً حادثة الفيل ادي موضوع ويقولك الأحداث التي وردت تحته هكذا، مثلاً قصة حفر بئر زمزم، هكذا قصة عبد المطلب مع أبرهة ويحكى تحتها، ديه اسمها طريقة موضوعية وهكذا، بيوجب المواضيع وبيراعي المواضيع بالترتيب الزمني؛ اللي حدث الأول بيحويه الأول؛ واللي حدث الثاني بس بيديها تبويب موضوعي. طب فيه طائفة اتبعت التنظيم الموضوعي في تاريخ ما قبل البعثة النبوية لعدم وجود تاريخ

زمني يبقى الحاحه اللي قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم يعملوها بطريقة موضوعية مواضع ويحكي اللي حصل تحت الموضوع ده.

### طريقة التاريخ الحولي

لكن لما يأتوا للتاريخ الإسلامي رتبوا الأحداث حسب السنوات الهجرية وهو المعروف بالتاريخ الحولي حيث يسرد حوادث كل سنة، حوادث السنة الأولى من الهجرة؛ ايه اللي حصل فيها بقى يجب كل اللي حصل في السنة الأولى من الهجرة، حوادث السنة الثانية من الهجرة ويحكي كل اللي حدث في السنة الثانية من الهجرة، وهكذا، مرتبة ترتيباً زمنياً.

يبقى فيه طريقة

باختصار بيألف من المؤرخين طريقة الإخباريين غير المحدثين بطريقة موضوعية، وفيه اللي بيألف بطريقة سردية لحسب السنوات والتسلسل الزمني للأحداث.

### من اتبع منهج الترتيب الموضوعي والترتيب الحولي؟

من الذين اتبعوا منهج الترتيب الموضوعي عالم اسمه أبو حنيفة الدنوري هذا هو الذي ألف بطريقة ترتيب موضوعي، اللي مشى بطريقة ترتيب حولي يعني بالسنين الحادثة الأولى الثانية، الإمام خليفة بن الخياط والإمام محمد ابن جرير الطبري وهو من أعظم من ألفوا في السيرة في التواريخ في كتابه **تاريخ الأمم والملوك** الشاهد هذا بالنسبة لطريقة المؤرخين.

### الطريقة الثالثة في مناهج التأليف: منهجية من جمع بين صفتي المؤرخ والمحدث

طب عندنا طريقة ثالثة في مناهج التأليف والتدوين لسيرة النبي صلى الله عليه وسلم وهو منهجية من جمع بين صفتي المؤرخ والمحدث؛ جمع بين الطريقتين.

يبقى عندنا واحد دون لنا السيرة بطريقة المحدثين أسانيد، وواحد تاني طريقة إخباريين - بالطريقتين اللي احنا ذكرناهم ترتيب حولي أو ترتيب موضوعي - وعندنا منهجية في من جمع بين صفتي المؤرخ والمحدث.

فبعض المؤلفين جمع بين ذلك مثل محمد بن اسحاق، وخليفة بن خياط، ويعقوب بن سفيان الفاسوي، ومحمد بن جرير الطبري، أفادوا من منهج المحدثين بالتزام سرد الأسانيد - ده منهج المحدثين - ومحاولة إكمال صورة الحادث عن طريق جمع الأسانيد أو سرد الروايات التي تشكل وحدة موضوعية في مكان واحد.

يبقى سلكوا موضع بدأ يجيب الأسانيد ويجمع الروايات والفجوات الزمنية اللي مش واردة في الأسانيد ياخذها من الإخباريين ويضعها ويعزوها للإخباري اللي هو رواها، بحيث إنه يخلي الصورة متكاملة في السرد التاريخي.

يبقى المنهج اللي سلكه ابن اسحاق حاول أن يجمع فيه بين المحدثين أو منهج المحدثين يعني القائم على الأسانيد لغرض التوثيق العلمي؛ وبين منهج الإخباريين المتحررين من الالتزام بالأسانيد أصلاً والتي كانت سمة العلم

المعروفة في ذلك العصر، كانوا يرووا الأخبار يرووا بدون إسناد؛ يعني الإخباري. ولعله كان يهدف يعني ليه عمل كده؟ يهدف إلى إخراج السيرة النبوية في صورة مترابطة الأجزاء متسلسلة الأحداث ليسهل على الناس حفظها. وقد لقيت سيرته قبولاً عاماً عند عامة المسلمين خاصة بعد التهذيب والاختصار الذي أجراه الإمام ابن هشام فأصبحت سهلة الحفظ والتلقين للطلبة والمبتدئين وللعوام.

وجاء بعد ذلك بعد ابن إسحاق الواقدي وابن سعد، أما الواقدي فقد تقدم خطوة على ابن إسحاق أنه ابتعد شويتين عن طريقة المحدثين، يعني أحياناً يجب أسانيد؛ وأحياناً ما يذكرش وما يذكرش أكثر اعتماداً على طريقة الإخباريين وفعل ذلك فهذا ما حدث منهم.

فالواقدي إذن صاغ المغازي في نسق واحد مترابط في الأسلوب وصاغ ألفاظ الرواة، لكنه تساهل نوعاً ما في نقل الأسانيد الواردة في هذا الباب.

وبفضل الله سبحانه وتعالى بهذه الطرق التي يعني اعتمدها العلماء أخذوا أو حافظوا على كل ما روي في تاريخ الإسلام وأصبح لنا بفضل الله سبحانه وتعالى منهج متكامل أماننا نعرف ماذا نأخذ وماذا ندع من خلال الأسانيد التي انتهج أهل الحديث، وكذلك كيف نستفيد من كتب الإخباريين في مسألة عرض الأشياء الوصفية دون ما يستنبط في النواحي الفقهية أو العقدية أو التربوية أو ما شابه فهذا بالنسبة لهذه الطريقة.

إذن الواقدي كما ذكرنا وما شابهه زي ابن إسحاق جمعوا بين الطريقتين ونهج مؤلف هذه الكتب التي جمعت بين طريقة المحدثين وطريقة الإخباريين إذا بهم نهج مألّفوا هذه الكتب مناهج المحدثين في الرواية من ذكر الأسانيد والنظر في الرواة، وإن لم يلتزموا ما التزمه المحدثون من مسألة التعديل والتجريح ومسألة الروايات، فذكروا روايات مرسلّة وروايات معضلة وما إلى غير ذلك أي ضعيفة فيها سقط في الأسانيد هكذا فليهد؟ لأن غرض أهل السير يختلف عن غرض المحدثين. ليه أهل السير اللي بهذه الطريقة تساهلوا نوعاً ما؟ غرض المحدث هو ذكر الأحاديث التي هي مناط معرفة الحلال والحرام ومن ثم كان لابد من التشدد في الرواية، وغرض المؤلف في السير والتواريخ ذكر أخبار أو أخبار ليست مناط الحلال والحرام غالباً، لكن فيها بردوا متعلق لذلك قلنا ما روي بطريقة الإخباريين ما ينفعنا نستنبط منه أحكام في الحلال والحرام أو في العقائد لكن كأشياء وصفية أو تاريخية فقط فلذلك حكاية أخبار فقط فتساهلوا في ذلك. ووجدت ذكر أخبار ليست مناط للحلال فمن ثم تساهلوا، فوجدت في كتبهم الروايات المرسلّة والضعيفة وما إلى غير ذلك.

إذن يمكن الاستفادة بصورة واسعة من كتب الحديث في دراسة عصر السيرة النبوية والخلافة الراشدة. والأصل عايزين نقول إن الأصل المرجح للروايات هو طرق المحدثين؛ هذا هو الأصل المرجح لمعرفة المقبول من المردود. لأن عندنا قواعد ازاى نقبل بها الرواية من عدمها، ده بالنسبة لهذا ايه المقبول وايه المردود، المقبول ده اللي نستنبط منه الأحكام هذا هو سواء عقدية أو فقهية أو ما شابه طيب المردود اذا كان مجرد شئ إخباري أو وصفي أو ما شابه ما في مانع من حكايته أو بيان تسلسل الحادث، لكن استنبط يبقى ينبغي أن استنبط من الأحاديث المقبولة على قواعد المحدثين المعلومة. لأن بعض الناس يتساهل في هذا الباب ويستنبط أموراً عقدية

وأموراً تربوية وأموراً فقهية من أشياء رواها الإخباريين أو رويت بطريقة موجودة في كتب السير بطريقة الإخباريين بدون إسناد أو بأسانيد واهية أو ضعيفة هذا لا يستنبط منه حكم. إذ الإسناد من الدين لكن شئ وصفي هو الذي محل تساهل والله تعالى أعلى واعلم هذا باختصار شديد أهم ما يتعلق بهذا المنهج.

### الخلاصة

يبقى إذاً عندنا منهج الأول منهج المحدثين: منهج مبارك طيب وهو الأصل في قبول الروايات من عدمها. منهج الإخباريين: عرفنا امتي نستفيد منه وامتى مانستفدش وماينفesch نأخذ منه استفادة في الأحكام والعقائد إنما في رواية الأخبار.

منهج بعد ذلك المنهج الذي جمع بين طريقة المحدثين وبين طريقة الإخباريين: إنه بيكمل الخلل الوارد بيجيب الأسانيد ويكمل الخلل، ده نستفيد منه ازاى؟ الكتب ديه؟ نستفيد إنه مروية بالإسناد نعرف إنه مقبول ولا مش مقبول، ما روي من غير إسناد بنعرف إن ده بس لسرد إخباري؛ لكن ما يستنبطش منه حكم فقهي أو عقدي أو ما شابه. هذا منهج بردوا من مناهج التأليف. علشان اعرف اللي ألف ده منهجه ايه واعرف استفيد منه ازاى.

### المنهج الموضوعي

كذلك عندنا منهج من المناهج المنهج الموضوعي؛ المنهج الموضوعي ده في السيرة هو عبارة عن إيه؟ هو أخذ موضوع واحد من مواضيع السيرة والكتابه عنه، كمن يكتب في الدلائل؛ دلائل النبوة؛ يجمع كل النصوص التي فيها دلالة على نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم، أو الشمائل المحمدية؛ كل ما يتعلق بالأمر الحياتية وشمائل الرسول وخصال النبي صلى الله عليه وسلم والخلقية والخلقية يجمعها في باب واحد، ياخذ موضوع واحد ويأتي بكل ما ورد في السيرة نحوه أو في نصوص السنة في الكتابي والسنة نحوه.

كذلك مثلاً من يأخذ باب العظات والعبر أو دراسة غزوة من الغزوات الى آخر هذا يبقى ده اسمها الطريقة الموضوعية؛ بيأخذ موضوع ويتناوله من كل ما ورد فيه في كتاب الله وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم، بل وكتب السير. وأما أن يسند الكاتب بطريقة موضوعية ما كتبه أو لا يسنده.

### من المؤلفات في الدلائل:

ومن المؤلفات في الدلائل كتاب دلائل النبوة للإمام أبي نعيم ودلائل النبوة لأبي زرعة الرازي ودلائل النبوة للإمام البيهقي ومن المؤلفات في الشمائل كتاب الإمام الترمذي عليه رحمه الله وهو مروي بطريقة المحدثين.

ومن المؤلفات على طريقة المنهج الموضوعي أيضاً:

- كتاب الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- -في العصر الحديث يعني- "الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- واليهود وجهًا لوجه" للدكتور/ سعد المَرْصِفِيّ.
- وكتاب "سيرة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-" لشبليّ نَعْمَان.

وغير ذلك من الكتب والمؤلفات، هذا باختصار منهج أيضاً وهو كثير في العصر الحديث، كتابة السيرة بطريقة موضوعية.

وهذا باختصار أهم المناهج التي كَتَبَتْ وألَّفَتْ في السيرة النبوية قديماً وحديثاً.

بَقِيَ لَنَا أَنْ نَتَعَرَّفَ -أَحْبَبْتِي فِي اللَّهِ- عَلَى بَعْضِ الْمَنَاهِجِ الْمُنْحَرِفَةِ فِي كِتَابَةِ السِّيْرَةِ، دَه إِحْنَا بِنَتَكَلَّمُ عَلَى مَنَاهِجِ الْأَصْلِ وَإِزَاي نَسْتَفِيدُ مِنْهَا وَهَكَذَا، مِنْ الْمَهْمِ إِنْ الْإِنْسَانُ يَعْرِفُ الْمَنَاهِجَ الْمُنْحَرِفَةَ فِي الْكِتَابَةِ لَكِي يَحْذِرَ الْإِنْسَانَ مِنْهَا أَوْ يَعْلَمُ كَيْفَ يَتَعَامَلُ مَعَ هَذِهِ الْكُتُبِ، الَّتِي كَتَبَتْ بِمَنْهَجِيَّةٍ مُنْحَرِفَةٍ فِي السِّيْرَةِ.

كَمَنْهَجِيَّةِ الْمُسْتَشْرِقِينَ، وَالتَّغْرِيبِ، وَمَنْهَجِيَّةِ الْمَدْرَسَةِ الْإِصْلَاحِيَّةِ، وَالرَّافِضِيَّةِ، وَالْمُتَّصِفَةِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ . . .

**فمنهج المستشرقين** - كإشارة سريعة في هذا الباب في كتابة السيرة:

الكلام على منهج المستشرقين يقتضي تتبُّع كتابات المُستشرقين وتحليلها، والتدليل على ذلك بالمقولات؛ لكي نعرف منهجهم . .

• هل كان منهجاً سديداً موضوعياً يسير حول مباحث النقد العلمي والطريقة الموضوعية والكتابة الموضوعية في العلم؟

• أم أنها كانت طريقة مُنْحَرِفَةٌ مَبْنِيَّةٌ عَلَى عَقِيدَةٍ فَاسِدَةٍ وَكُرِهَ لِنَبِيِّ الْإِسْلَامِ؟ -من بعضهم- وليس من كلهم فالإنصاف مطلوب.

فمن هنا ينبغي أن نُراعِي هذا ونعرف الطريقة التي ساروا عليها، فهنا أحب أن أسجّل بعض الملحوظات المنهجية عن دراسة المُستشرقين، وبعد ذلك نحاول أن نُشير إلى أصول مناهجهم؛ لنعرف طريقتهم في مثل هذا.

طيب.. المستشرقون يكتبون عن الإسلام ونبيّه لا يُمثّلون اتجاهاً واحداً.. هكذا، فهناك اختلافات بينهم في طريقة الفكر، في طريقة حُبهم للإسلام من كُرهِهم للإسلام، حُبهم لنبي الإسلام من كُرهِهم، مُحايدٍ أو غير مُحايدٍ . . . وما إلى غير ذلك.

ومن العسير على المُستشرق أن يدرك أثر الفكرة الدينية وحركتها في التاريخ وتأثيرها على النفس البشرية كإدراك المُسلم، يختلف لأنه مهوَّاش مُسلم والدوافع الإيمانية عنده مختلفة، فالمؤرِّخ غير المُسلم يتعامل بمنهج مادي



صارم مع الحدث التاريخي أو حدث السيرة الوارد الذي يتكلم عنه، فيغفل دوافع النفس وكوامنها في الحدث؛ لأنه يتعامل مع حدث غريب عنه **مُعْجزة**، مُعْجزة ديه بالنسبة له شيء خارق للعادة، هو مُعْتَمِد **العقل**، طب إحنا عندنا نؤمن بأن النبي مُؤَيَّد من قِبَل الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، وإن في خوارق للعادات يُجْرِبُهَا اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ- على أيدي الرُّسُل تَأْيِيدًا لَهُمْ وإظهارًا لكرامتهم، ده بالنسبة للمُستشرق اللاديني العقلاني العلماني إلى غير ذلك شيء مستغرب، فممكن يُرَدُّ هذا مُطْلَقًا ولا يتعامل معه بالأساس .. وهكذا، يبقى يتعامل مع حدث غريب لا يتفاعل معه، لا يأخذه بأنه شيء حقيقي، ممكن يجيبه على إنه وهم أو ما شابه، أو يُرَدِّه أو لا يذكره من الأساس، ففي الغالب يغفلوا جوانب الإعجاز، ويتحدثوا عن الجوانب البشرية فقط، وده شيء بيخلى السيرة تخلو من منطق الإيمان ومنطق التعلُّق بالله -سبحانه وتعالى- بأن معجزاته خارقة . . . وما إلى غير ذلك.

وكنموذج لهذا الباب، عندنا بعض المستشرقين في هذا الباب لا تخلو دراستهم من حضور طاغٍ لنموذج يُقاس عليه بقية النموذج الغربي المهيمن في ظل العلاقة العدائية بين الإسلام والغرب، فمن ذلك:

#### • عدم وجود الموضوعية في دراسة السيرة النبوية.

وهذا.. من الصعب تحقيقها في دراسات المستشرقين لما تتسم به العلاقة بين الإسلام والغرب من مؤثرات ذات عمق في الحروب الصليبية وغيرها والعدائية، ولا شك أن هذا جعل مؤلفوهم في هذا الباب لا يلتزموا الموضوعية. هذا بالنسبة لهذه الجزئية.

#### • كذلك البحث في الإسلام يختلف كثيرًا عن أي بحث آخر.

لأنَّ الباحث غير المسلم سيصطدم بقضية "الوحي" و"المعجزات" وغير ذلك، فهو إن كان ممن ينتمون إلى الاتجاه الديني اليهودي أو المسيحي فهو مهتم ابتداءً بأن يروي ما لا يُخالف عقيدته، فهو مُتَّهَمٌ بالتحيز لموقفه العقدي الرافض الاعتراف بنبوة النبي مثلما حدث مع "كموير" و"روكونام" و"ميشيه بوديه" الذين أكَّدوا على صلة الإسلام -هو بيحكى- بالنصرانية واليهودية، وأنه استلهم تعاليم منهما، على الرغم من أن النبي من كل من سَطَّرَ في التاريخ يعلم أن النبي لم يطَّلِعْ على كُتُبِهِمْ ولم يكن يقرأ ولا يتلو هذه الكُتُبِ .

الشاهد: لكن هؤلاء لما أَلْفَوْا في ذلك لموقفهم العدائي ولعقيدتهم.. حاولوا أن يجعلوا الإسلام في حكايتهم السيرة والتاريخ كأنه مُستلهم من مواضع عندهم في كُتُبِهِمْ . . . وما إلى غير ذلك، ويتعد عن تبيين المواضع التي أفسدَ فيها النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عقائدهم الفاسدة أو بيَّن تحريفهم لديانتهم، فهذا مما حدث. فالشاهد: هذا منهج من مناهج المُستشرقين . . فعلينا أن نعرف كيف نقرأ؟ ولِمَن نقرأ؟ ونعلم أن بعضهم -بعضهم- يحاول أن يدرس السيرة بطريقة عقديَّة مُعَيَّنة فيُحَرِّف فيها من حيث يدري أو لا يدري. فذلك المُستشرق إليّ عنده عقيدة مُعَيَّنة.

**المُستشرق الذي لا يؤمن بقضية نبوة مُحَمَّد . .** سيسعى منذ البداية إلى تأويل أو تفسير ظاهرة الوحي وما ينتج عنها بما يخضع للمقاييس المادية التي يتبناها هو، فسيحللها تحليلًا ماديًا بدلًا من أن يُبيِّن أنها وحيٌّ من الله



ومُعجزة من الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، فلقد حَالَت الأوهام والأباطيل زمنًا طويلًا دون دَرَسِ مصادر الإسلام في أوروبا دراسة علمية، ثمَّ جدَّ في البحث العلمي بعض العلماء في القرن التاسع عشر ومنهم: كوسان، ومويسر، وغيرهم من علماء المُستشرقين في ذلك الوقت، إذا بهم أخذوا يدرسون دراسات الإسلام ومنهج الإسلام بطريقة تتلخَّص فيما يلي، طريقتهم هكذا:

- بحث ما قرَّره العرب حول مؤسس الإسلام بحثًا نقديًا، وعزل الوسائل التاريخية الموصوف بها من الأساطير المتأخِّرة.

- بحث طبيعة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بوصفه إنسانًا، ونبياً ومُشرِّعًا، دون الوقوع تحت أسر مذهبه.

- أخيرًا.. ترتيب القرآن الذي يُمثِّل مزيجًا مختلف الألوان من الأناشيد والصلوات - بزعمهم - والعقائد

والمواعظ والقوانين والمنظومات ترتيبًا زمنيًا، فهذا ما فعله بعضهم في مسألة الكتابة وفي السيرة، ويُحاول تقويم كُتُب السَّيْرِ بِمِثْلِ هذا الوَضْع، فيقول بعضهم:

"كل الكتب عن حياة مُحَمَّدٍ ذلك الوقت لا تزال تستند باستمرار -بدرجة تقل أو تكثر- على كتاب "جان جانييه" الذي ظهر قبل ذلك القرن، ولكن جان جانييه لم يَضَع لنفسه مهمة وصف مُحَمَّدٍ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كما كان؛ بل كان يكتفي بترجمة المصادر العربية ويضعها ببساطة بجوار بعض المصادر الأخرى ويحكي، ويتعد عن طريقة الوحي عن طريقة تفسير المعجزات ويدرسها بطريقة بشرية مَحْضَة، ومن هنا سار على هذا النهج جَمٌّ غفير من المستشرقين بعضهم له مآرب في التشكيك في دين الله -عَزَّ وَجَلَّ-، وبعضهم أخذ يعتمد على فكرته المادِّيَّة ويتعد عن غير ذلك".

فهذا يعني بالنسبة كنوع من التفصيل تعمَّدت أن أذكر بعضه، وإن كان التفصيل في هذا أعلى من ذلك؛ لنَعْلَم طريقة المستشرقين في الكتابة في دين الله -عَزَّ وَجَلَّ-، وكيف أنهم وقعوا في أخطاء بهذه الطريقة، وأنهم حاولوا أن يتعدوا عن الوحي وما شابه في هذا الباب.

مما يتعلَّق بهذه الجُزئية سريعًا:

- أنَّ طريقة المستشرقين ساهمت كثيرًا في تكوين الوعي الغربي وفق الصورة التي رسمتها عن الشَّرق،

ورسمتها عن نبي الإسلام، وعن حكاية سيرة الإسلام.

وهذا الذي أثر في الوعي الغربي ومن تأثَّر به ودَرَسَ على طريقتهم في هذا الباب، فأخذوا يجردوها ويجعلوها طريقة بشرية كاملة، طريقة عبقرية بعيدة عن الوحي والصلَّة بالله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- والمُعجزات وما إلى غير ذلك؛ بل بعضهم بثَّ فيه بعض السموم التي تُشكِّك في دين الإسلام، مثل:

إللي يجعل إن السيرة النبوية والتشريعات الإسلامية إللي وردت في حياة النَّبِيِّ كَأَنَّهَا مُسْتَلْهَمَةٌ، ويلوي عُقْبُ النصوص كَأَنَّهَا مُسْتَلْهَمَةٌ من الكتب السابقة الواردة عند اليهود وعند النصارى!

ولقد كان لها أثر كبير في التعويق الغربي وتحصينه ضد الإسلام؛ علشان لو اطلعوا على الإسلام بصورته الصافية كان هيدخل عدد أكبر -بفضل الله-، وكل من اطلع منهم على الإسلام بطريقته الصافية يُسَلِّم -بفضل الله-؛

لكن هذه الطريقة التي قام بها المستشرقين كان لها أثر في مسألة تحصينه ضد الإسلام، وجعلوا يُعطون أوصاف.. لأن كان في عداء طبعاً بينهم وبين الخلافة الإسلامية وما إلى غير ذلك، في خلال كتبهم يصفون الإسلام بأشياء مُنْفَرَة فيقول: دين الأتراك، أو العقيدة التركية أو يقولون عن النبي: نبي الأتراك!! - كما هي عبارات ميشيل بوديه وغيره من المستشرقين-.

الشاهد: أن هذه الطريقة ينبغي علينا أن نفهم فكر من تكلم بها، والطريقة التي تحدت بها لنحذر من ذلك، ويجب على شباب الأمة وعلى المتعلمين من الأمة وعلى أهل الإسلام أن يُبينوا ما فيها من العور، ويبيّنوا الإسلام و السيرة بطريقتها الصافية؛ كي تعرفها أوروبا على الطريقة الصحيحة ومثقفوها ويكون ذلك سبباً في هدايتهم.

تأثر بذلك وبطرق المستشرقين بعض المسلمين في منهج "المدرسة الإصلاحية":  
منهج المدرسة الإصلاحية العقلية التي ادعت التنوير، وسارت على طريقة المُستشرقين ووقعت في بعض أخطائها، طبعاً هؤلاء لم يكونوا يحملوا العداء للإسلام كـبعض المستشرقين الذين كتبوا ذلك من دافع عدائي أو عقدي مُعَيّن، لكن هؤلاء لم يكن عندهم هذا العداء؛ لكنهم تأثروا بفكرة "تقديم العقل على كل شيء والاعتماد على المادة على كل شيء"؛ فإذا بهم ألفوا بهذه الطريقة فأخطأوا ووقعوا في أخطاء من هذا الباب.

يبقى كان من نتائج احتكاك العرب بالغرب وأبحاث المستشرقين؛ أن حدث جدل واسع أثار الكثير من الإشكاليات في حقل العلوم الإسلامية، منها:  
قضايا الوحي، والمعجزات، وغير ذلك، الذي وقع فيها بعض من يسير على الاعتماد على العقل أكثر من غيره، "الطريقة الإصلاحية" أو أصحاب المدرسة الإصلاحية لَمَّا تأثروا بالغرب وبطريقة التفكير الغربية في الاعتماد على العقل والأمور المادية وتقديمها على كل شيء؛ حدث لهم مشاكل في مسألة الحديث عن الوحي والمعجزات وغير ذلك.

وكان أن برز الشيخ "محمد عبده" -رحمه الله- وحاول أن ينهض بالتعليم الأزهري والعلوم على أسس حديثة مُتأثراً بالنهضة الغربية، وهو لم يكتب في السيرة لكنه تعرّض في تفسيره وغيره لقضية الوحي والمعجزات -وهما طبعاً من ركائز السيرة النبوية وأساس النبوّة- وكان أن تأثر به عدد من علماء عصره مثل: رشيد رضا، وأحمد أمين، ومصطفى المراغي، ومحمد حسين هيكل، ومحمد فريد وجدي، ومحمد شلتوت، ومحمد الخُضري، ومحمد الغزالي . . . وغيرهم.

قصدت إن أنا أبين الأسماء.. هؤلاء تأثروا بالطريقة العقلية الغربية؛ فنشأ عنهم ما سُمّي بـ"المدرسة الإصلاحية".

ويُعرّف الشيخ محمد عبده **الوحي** بأنه: "عرفان يجده الشخص في نفسه" هكذا!، واستقر تعريفه عند العلماء أنه: "إعلام الله -تعالى- أحد خلقه بشيء"، فلما أقول "إعلام يجده الشخص من نفسه" قصر الوحي على مسألة الإلهام أو ما شابه.

الشاهد الآن: إن هو جعل المعرفة الذاتية فقط هي عبارة عن الوحي؛ في حين يرى العلماء أن معرفة الوحي خارجة عن ذات النبي -صلى الله عليه وسلم-؛ إنما هي بوحى من الله -سبحانه وتعالى-، فالشاهد هذا من طُرُق المدرسة الإصلاحية في هذا الباب التي اعتمدت البديهيّات العقلية واعتبرتها شيء ثابت لا يتخلف، ومن هنا جعلوها أصل في التحاكم إلى النصوص الشرعية.

وده إلى جعل شيخ زي الشيخ مثلاً الخُضري أن يميل إلى الرأي القائل: "إن الإسراء والمعراج كان بالروح فقط وليس بالجسد"! على اعتبار أن ذلك شيء يتنافى مع الأمور الماديّة و"تقديم العقل على النقل"، والعقل يبين استحالة السفر بالجسد في هذا الوقت فجعله شيء روحاني فقط، فهذا أيضاً من الأخطاء التي وقعوا فيها. فالشاهد: تأثر أيضاً بالمستشرقين "هيكل" ووافقهم في بعض آرائهم ومن ذلك:

أنه يركّز في كتابه "حياة محمد" على الجانب الإنساني البشري فقط من حياة النبي -صلى الله عليه وسلم-، واسم الكتاب مستعار طبعاً من "حياة محمد" ويليام موير، وهو الذي ألف بدوره أيضاً كتاباً اسمه "حياة محمد" واعتبرها أشياء بشرية محضّة ولم يتحدث عن جوانب الوحي . . . فهذا من الأمور التي وقع فيها هؤلاء.

إذن . . . **خلاصة القول** -أحبي في الله-:

أن السيرة النبوية تطبيق عملي للإسلام، ينبغي أن نفهمها بفهم علماء الإسلام، بفهم منهج الإسلام، بفهم أن الوحي من الله -سبحانه وتعالى-، بأنها مجسّدة لحياة النبي -صلى الله عليه وسلم-، ليست عبارة عن أشياء بشرية محضّة؛ لكي نعرف الأخطاء التي وقع فيها المستشرقين ووقع فيها من تأثر بطريقة المستشرقين في التفسير.

لهذا أنا قصدت أن أوسّع فيه وأن أبينه وأذكر الأسماء؛ لكي نعرف إذا قرأنا لأحد من هؤلاء نعلم أنهم متأثرون بتقديم الطريقة العقلية المنهجية، وأنهم يقدمونها على كل شيء، وهذا منهجهم تقديم العقل على النقل؛ فوقعوا من ذلك في أخطاء، وهذا ظناً منهم أنه قد يوجد تعارض بين العقل والنقل.

ولا يوجد تعارض أصلاً بين العقل والنقل؛ فالإسلام أعلى قيمة العقل، لكن العقل له حدود ينبغي علينا أن نراعها .

فدراسة السيرة بهذه الطريقة فيها من الأخطاء ما فيها؛ لأنها اعتبرتها جوانب بشرية مادية فقط، والسيرة فيها جوانب بشرية مادية وفيها جوانب روحية.. جوانب من الوحي.. جوانب من المعجزات، الرسول -صلى الله عليه وسلم- لا ينطق عن الهوى "إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى" النجم: ٤، فعلياً أحبتي في الله أن نسير وفق هذه الطريقة، وأن نعلم أن طريقة السلف أكمل في دراسة السيرة، وأن نسير على مناهج أهل الحق من أهل السنة والجماعة الذين اعتمدوا

على المصادر التي ذكرناها، واستَقَوْا منها بطريقة المُحدِّثين؛ الذين اعتبروا الصحيح من الضعيف ليستنبطوا منه الأحكام الشرعية، وما كان غير ذلك عبارة عن إخبار، وأعطوا الرسول حقه -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- دون إفراطٍ أو تفريط.

فهذه أهم المناهج في التأليف والكتابة في السيرة.

#### دعاء الخاتمة

أَسْأَلُ اللَّهَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- أَنْ يَجْعَلَنا ممن يَسْتَمْعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ، وَأَنْ يَرْزُقْنَا الْهُدَى وَالرِّشَادَ وَالتَّوْفِيقَ وَالسَّدَادَ.

سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ.

تم بحمد الله

شاهدوا الدرس للنشر على النت في قسم تفريغ الدروس في منتديات الطريق إلى الله وتفضلوا هنا:

<http://forums.way2allah.com/forumdisplay.php?f=36>